المحاضرة الثّالثة:

وظائف أدب الطّفل، وخصائصه.

I. وظائف أدب الأطفال.

1. التّربية الجمالية والوجدانية.
2. التربية الخلقية.
3. التّربية اللّغوية.
4. التّطهير الانفعالي.

II. خصائص أدب الأطفال.

1. خصائص أدب الطّفل من حيث الأسلوب.
2. المعايير اللّغوية في أدب الأطفال.
3. معايير أدب الأطفال بالنّظر إلى شكل كتاب الطّفل.

I. وظائف أدب الأطفال:

تَختصِرُ إحدى مقولات جان جاك روسو أهم وظائف أدب الطّفل، وجاء فيها: "...**إنّ الغرض الأساسيّ من تربيته [الطّفل] هو أن أعلمه كيف يشعر، ويحبّ الجمال في أشكاله، وأن أرسّخ عواطفه وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النّزول إلى الخبيث والمرذول، فإذا تمّ ذلك. وجد طريقه إلى السّعادة ممهداً.**"[1]

وإذا علمنا أنّ الطّفل أشدّ المخلوقات قابلية للتّأثّر والانفعال، وحبّ الكشف والاستطلاع، والرّغبة في تحقيق الذّات، فإنّه يتوجّب على الأدب الموجّه للطّفل العمل على إشباع هذه الحاجيات، وعليه تترتب غايات متعدّدة منها ما يهدف إلى المتعة والتّرفيه، ومنها ما يعمل على الارتقاء بضمير الطّفل وأخلاقه، وبثّ القيم الصّالحة فيه، ومنها ما يثير انطباعاته الحسّية والمعنوية، ومنها ما يقدّم له الصّور الذّهنية والفكرية، ويفسّر له الظّواهر والمعاني التّي تتكوّن في خاطره على مرّ السّنين، ومنها ما ينقل إليه القيم الحضارية والتّراث، ومنها ما يعمل على توكيد احترامه لذاته ورضاه عنها، وشعوره بالانتماء وتفاعله مع الآخرين، وفي إطار هذه الغايات تتحدد وظائف أدب الأطفال:

1. التّربية الجمالية والوجدانية:

يقوم أدب الأطفال على التّذوق ومخاطبة الوجدان بإثارة الخيال في شكل جذّاب يؤدّي إلى إيجاد روح الابتكار في الطّفل، فحفظ الأناشيد والأغاني الهادفة، مثلا، يقود إلى النّشوة والانسجام، فيعرف الطّفل إيقاع الحياة من خلال إيقاع الشّعر، كما أنّ الاندماج الوجداني في قصّة أو تمثيلية يؤدي إلى الإبداع والقدرة على الابتكار.

[1] محمد علي الهرفي، **أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية**، ص ص: 30، 31.

وينبغي التّركيز في التّربية الجمالية على نواحي الخيال، مع ضرورة توجيهه توجيها سليما بحيث ينصهر الخير وحب الجمال دائما.

2. التربية الخلقية:

يسعى كاتب النّص إلى تنشئة الطّفل تنشئة عقدية وخلقية، فيلقي في روعه أساسيات العقيدة وأركانها، وفروض الدّين وواجباته، بطريقة مشوقة فيها من القدوة الحسنة أكثر مما فيها من الإملاء والتلقين. وينبغي أن تكون وسائل التّربية غير مباشرة، وأن يكون التّقديم راقيا – جماليا، وفنيا – خاليا من السّذاجة والمباشرة والسّطحية، فالتّلميح أشدّ أثرا من التّصريح؛ لأنه يخاطب العقل والعاطفة معا، ويثر العديد من الأسئلة الدّاخلية، التّي يحاول الطّفل العثور على إجابة مرضية لها، ويدخل المتلقي في بنية العمل الفنّي دخولا عميقا، يجعل الأدب مفيدا وممتعا في آن واحد.

3. التّربية اللّغوية:

اللّغة وعاء الفكر، ولابد للطّفل من معرفة الألفاظ ودلالاتها وأساليب استخدامها ليكون قادرا على التّعبير الصّحيح عن مختلف المعارف؛ والكلمة هي وسيلة تشكيل فن الأدب ومن ثمّة وجب الاعتماد على لغة الطّفل، وعلى سلامة النّطق وطلاقة اللّسان في المحفوظات والتّمثيل.

4. التّطهير الانفعالي:

استخدم أرسطو مصطلح التّطهير، وعنى به أن الأدب يطهر النّفس من الخوف والشّفقة. لذلك ينبغي على كتّاب أدب الأطفال تحقيق مهمة التّطهير بعيدا عن التّأثير السّيئ لوسائط أدب الطّفل المختلفة.[1]

[1] ينظر: علي محمد الهرفي، **أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية**، ص ص: 50-54

II. خصائص أدب الأطفال:

نظرا لخصوصية الجمهور الّذي يتلقى أدب الطّفل، فإنّ الكتابة الموجه إليه يجب أن تخضع لاعتبارات تربوية وسلوكية، ولاعتبارات فينة عامة، بمعنى أن لأدب الأطفال سمات تتعلق بأمرين متلازمين:

يتعلق الأمر الأوّل بالأساليب المناسبة التّي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف المرجوّة من هذا الأدب. ويدور الثاني حول محتوى هذا الأدب وأهدافه، أي بمضمونه.

1. خصائص أدب الطّفل من حيث الأسلوب:

يقول الفيلسوف آرثر شوبنهاور: "...**إنّ الحقيقة تكون دائما أكثر جمالا إذا تعرّت، ويكون التّأثير الّذي تحدثُهُ عميقا بقدر ما يكون التّعبير عنها بسيطا؛ [لأنّها] في ذلك التّعبير تستحوذ استحواذا كاملا على روح القارئ، ولا تَدَعُ له من الخواطر الجانبية ما يشتّت ذهنه...ولأنّ القارئ يشعر أنّه لا يوجد من يحاول خديعته، وإفساد إدراكه بفنون البلاغة، وأنّ كلّ ما للقول من أثر في نفسه نابع من نفس الشّيء ذاته**"[1]. فالبساطة التّي تستجلب الوضوح، والصّدق الّذي يعزّز إيماننا بالأدب ورسالته، ويزيده قوّة وجمالا، هي المطايا التّي نرتجي منها عمق التّأثير؛ وهي إن كانت مطلبا في الأدب عموما، فإنّها أكثر طلبا في أدب الصّغار، لما سبق عرضه من خصائص تميّزهم عن غيرهم؛ لذلك يمكن تحديد خصائص الأسلوب في أدب الأطفال فيم يلي:

1. **الوضوح**: ويتمثل ذلك في وضوح الكلمات، ووضوح التّراكيب اللّغوية وترابطها، ووضوح الأفكار.

[1] نقلا عن: هادي نعمان الهيتي، **أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص: 101.

2. **القوة:** ويتمثل ذلك في المثيرات التّي توقظ أحاسيس الطّفل ومشاعره، وتحرك وعيه وخياله، وتدفعه إلى التّأمل والتّعاطف إضافة إلى ما تعطيه للفكرة من جمال، وكذلك إطلاق صفات خاصة دون الصّفات العامة، والابتعاد عما يسبب عثرات في القراءة، وبلبلة في الفكر.

3. **الجمال:** ويتمثل ذلك في التّناغم بين الأصوات والمعاني عن طريق استخدام ألفاظ وتعابير سلسة موحية، ومن ملامح جمال الأسلوب التّوافق بين الأسلوب والأفكار، وكذلك التّوافق بين قدرات الطّفل الأدبية والعقلية والعاطفية.

4. **الخفة:** يتمثّل ذلك في تضمين كل فقرة فكرة وابتسامة.

5. **الاقتصاد (الجمل القصيرة):** يتمثّل ذلك في استخدام جمل واضحة قصيرة يمكن للطفل أن يفهمها دون عناء، لأنّه قليل الصّبر لا يحتمل التّريث.

6. **استخدام اللّغة الفصيحة:** ويتمثّل ذلك في تجنّب استخدام اللّهجة العامية أو أيّة لغة غريبة مكسّرة، التّي من شأنها أن تضيّع على الأطفال الفرصة في التّأثر والاستمتاع بالأعمال الأدبية الجميلة.[1]

وتأكيدا لما سبق يمكن أن ندرج قول الباحث، محمد علي الهرفي، الّذي يؤكّد فيه أنّ الوضوح، والقوّة، والجمال، سمات مشتركة بين الأدب عامة وأدب الأطفال، ولكنها في أدب الأطفال أكثر جلاء ولزوما، فيقول: "... **فالجمال الفنيّ، وجمال العبارة، وجمال الكلمة، وتحقيق شروط فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام، والبعد عن التّعقيد المعنوي واللفظي، قد تكون شروطا مهمة للجمال في الصّياغة، ومن ثمّ للوضوح أيضا، وهي شروط أساسية لإبداع أدب ممتع ومفيد.**"[2].

[1] ينظر: هادي نعمان الهيتي، **أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه**، ص ص:101، 102.

[2] محمد علي الهرفي، **أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية**، ص:57.

2. المعايير اللّغوية في أدب الأطفال:

هناك مجموعة من المعايير اللّغوية التّي يجب توافرها في أدب الأطفال، كي يؤدّي هذا الأخير وظائفه، والدّور المرجوّ منه، يمكن استعراض أهمّها فيم يلي:

أ- استخدام اللّغة العربية الفصيحة التّي لا تعيق الفهم، وشرح المفردات الغريبة، ومراعاة القاموس اللغوي للطفل.

ب-تجنّب بعض الظّواهر اللّغوية التّي تعيق الفهم ك: عدم ضبط الكلمات مظنة اللّبس، واستخدام الجمل المركبة، والجُمل الطّويلة، وعدم اكتمال أركان الجملة، واستخدام مصطلحات علمية وأدبية وفنية، والاستطراد في عرض الأحداث، واستخدام الجُمل الافتراضية والاعتراضية، وغلبة السّرد، وكثرة تعويد الضمائر، وكثرة المكمّلات، واستخدام المبني للمجهول، واستخدام المترادفات ...

ج- الصّحّة اللّغوية شرط أساسي لسلامة الفهم والاستيعاب.

د-استعمال علامات التّرقيم بدقة، تسهيلا للفهم، وتوصيلِ المعاني والمضامين الحقيقية لما يراد كتابته.

هـ- العناية بالجانب الجمالي عند الكتابة للطّفل، باستخدام الصّور الحسية والأدبية، والأخيلة، والأساليب البلاغية الميسرة، والمحسنات البديعية... فكثرة من كتاب الأطفال لا يستخدم الأساليب المجازية والصّور الأدبية في الكتابة المؤثرة والمحرّكة لمشاعر الأطفال، ويستخدمون لغة خاصة لا نبض فيها ولا إحساس، وهي لغة بعيدة عن الصّور الجمالية والخيالية والتعبيرات المجازية والمحسنات البديعية، وهي لغة تفقد الطّفل الإحساس بالجمال اللّغوي والذّوق الأدبي.[1]

[1] ينظر: سمير عبد الوهاب أحمد، **أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية**، ص ص: 69، 70.

3. معايير أدب الأطفال بالنّظر إلى شكل كتاب الطّفل:

يعتبر الكتاب من أهم وسائط أدب الطّفل، وعليه يتوقّف تفاعل الأطفال مع الأدب المقدّم لهم إيجابا، أو سلبا. ومن أجل تحبيب القراءة لهؤلاء المتلقين، وجذبهم إليها، يجبّذ أن يتوفّر الكتاب على معايير شكلية تجعلهم يقبلون عليه. وهي مجموعة من المقاييس تمنح الكتاب مظهرا جيدا، و"...**تنحصر في الحجم، واللّون، والرّسوم، ونوع الورق، وحروف الطّباعة؛ وأحسنها ما كان زاهي الألوان، متوسّط الحجم، لأنّ الأطفال لا يحبون الكتب الكبيرة الضّخمة، ولا الخفيفة الصّغيرة المختصرة**"[1]، كما يجب أن تكون الصّور واضحة معبرّة، أما من حيث الورق، فاللّون ناصع البياض من النّوع اللّماع، غير مستحب، لأنّه يجهد العيون، وخير أنواع الورق متوسّط السّمك زبديّ اللّون. كما يجب أن تكون الحروف كبيرة واضحة، والأسطر متباعدة، والهوامش واسعة، والإيضاحات حسنة الرّسم، جيدة النّسخ[2].

وفي هذا السّياق يتحدّث الدّارسون، على أنواع من الكتب منها: الكتاب السّهل، في مقابل الكتاب الصّعب؛ الكتاب المناسب، وغير المناسب؛ الكتاب الّذي يستجيب لمراكز اهتمام الطّفل وفق شرائح الأعمار، والّذي لا يستجيب لاهتمامه...الخ.

أ- **الكتاب السّهل، والكتاب الصّعب:** الكتاب السّهل من حيث محدودية مفرداته وقواعد نحوه وإملائه، أمر مرغوب وضروري، شريطة عدم احتقار الطّفل، وشريطة حسن القياس لئلا يصبح هذا الكتاب خطيرا على الطّفل، ويأتي بنتائج عكسية.

فالطّفل يفضّل الكتاب الّذي يستجيب لشواغله، واهتماماته الحقيقية على الكتاب السّهل الّذي يبدو له باعثا على الضّجر، ولا فائدة ترجى منه.

---

[1] عبد الفتّاح أبو معال، **أدب الأطفال، دراسة وتطبيق**، ص: 104.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

ب- **الكتاب المناسب، والكتاب غير المناسب:** (ومثالها: كتب التّسلية) حيث يعجب الطّفل ويستجيب عفويا للكتب المشوّقة، وخاصة كتب التّسلية، وإن كان المختصون في أدب الطّفل لا يرون بأسا من انصراف الأطفال إلى هذه الكتب، فإنهم في المقابل يرفضون أن يروا هذه المتعة من الانفراج إلى التّسلية والإغراء، وقد تحوّلت إلى معيار أساسي لاصطفاء واختيار الكتب.

ج- **الكتب المستجيبة لمراكز الاهتمام وفق شرائح الأعمار:** لا يوجد عمر مقفل على ذاته، فالحكاية يمكن أن تنال إعجاب كل عمر إذا كانت جيدة، لذلك فالكتاب الجيد الّذي يتحدّث إلى الصّغار هو في الوقت نفسه كتاب ليس له عمر، إذ إنّه كتاب شامل.

د- **مواجهة الموضوع مواجهة أكثر عمومية:** يسحر الطّفل ببعض الموضوعات بصورة لا يمكن نكرانها، مهما اختلفت أنواع الكتب التّي تعرض عليه.

هـ- **العقدة، والشّخصيات السّاحرة:** الكتاب الّذي تحتوي قصّته على عقدةٍ محبوكةٍ جيّدا قادرةٍ على جذب انتباه الطّفل، وعلى شخصيات تسحر الطّفل، وتجذبه للقراءة؛ هو كتاب ينطوي على عنصر التّشويق، ويستقطب اهتمام الطّفل ليقرأ.

و- **الكتابة نفسها:** وهي الكتابة التّي تخلق في القارئ الرّغبة في قلب الصّفحة والاستمرار في القراءة، والمضي حتى النّهاية، بدلا من جعله يتثاءب ويطرح الكتاب جانبا، وليست الكتابة البلهاء التّي تسجن الطّفل ضمن تراث لغوي صارم لا يهتم إلا باللّفظ الكميّ.

ز- **مراعاة المرحلة العمرية للطّفل:** وهي مجموعة من المعايير يكون كتاب الطّفل من خلالها ترجمة صحيحة وصادقة لمرحلة الطّفولة لغة ومضمونا وإخراجا ... فالمعادلة الصّعبة هي ألا نقدم للطفل ما يريده ويميل إليه فقط، بل ما نريده نحن من قيم واتجاهات ومضامين تربوية هادفة أيضا، وبما يناسب قدرات الطّفل وحاجاته لغة وثقافة على اختلاف مراحل نموه.[1]

[1] ينظر: إسماعيل عبد الفتّاح، **أدب الأطفال في العالم المعاصر، رؤية نقدية تحليلية**، ص ص: 67-69.